قامَ في اليَوْمِ الثّالِث

الأب نجيب ابراهيم الفرنسيسكاني

في رسالته الأولى إلى أهل قورنتس يتكلّم بولس الرسول عن قيامة المسيح معتمداً على قانون إيمان سابق، يرجع إلى الجماعة المسيحية الأولى، قائلاً أنّ هذا الاعتراف بالإيمان هو البشارة أي الإنجيل. بشّر بولس بالإنجيل في قورنتس، المدينة اليونانية، خلال رحلته الرسولية الثانية وكان قد أقام فيها مدة سنتين (٥٠ - ٥٢ م). بعد سنتين تقريباً، في مدينة أفسس كتب بولس الرسول رسالته الأولى إلى أبناء هذه الكنيسة.

يكرّس بولس الرسول الفصل الخامس عشر من رسالته لموضوع القيامة، فيبدأ باسلوب تفخيمي ولكن بسيط كلامه عن الإنجيل الذي بشّر به أهل قورنتس. يريد الرسول التذكير بهذه البشرى السّارة التي قبلها القورنتيون بإيمان، حتى إذا ثابروا عليها وحفظوها تماماً كما قبلوها، نالوا الخلاص، وإلا فإيمانهم باطل (راجع ١٥ : ١-٢). ليس من خلاص بدون الإنجيل! بهذا يعطي بولس كلّ الأهمية لما سوف يقوله في الآيات التالية، موضّحاً مضمون الإنجيل:

«سلّمت إليكم قبل كلّ شيء ما تسلّمته أنا أيضاً
«وهو أنّ المسيح مات من أجل خطايانا كما ورد في الكتب
«وأنّه قُبر
«وقام في اليوم الثالث كما ورد في الكتب
«وأنّه تراءى لصخر فالاثني عشر» (١٥ : ٣-٤).

من الواضح أنّ بولس يستشهد هنا بقانون إيمان سابق: «سلّمت إليكم ما تسلّمته». هذا ما يقوله عادة بولس في غير موقع عندما يريد أن يذكّر بالتقليد الرسولي السابق، كما فعل في نفس هذه الرسالة عندما تكلّم عن عشاء الرب (١ قورنتس ١١ : ٢٣). قانون الإيمان هذا يرجع إلى الجماعة المسيحية

الأولى. يبدو أنّ بولس كان قد قَبِل هذا التقليد في كنيسة أنطاكية في بداية الأربعينات من القرن الأول، لذلك لا بدّ أن يرقى هذا القانون إلى السنوات الأولى بعد حدث القيامة، أي إلى الثلاثينات من القرن الميلادي الأول.

موضوع الإيمان هو موت يسوع وقيامته. فالقبر ليس سوى تثبيت على أنّه مات، والترائي برهان على أنّه قام. لذلك لا ترد عبارة «كما في الكتب» إلا في الجملة الأولى والثالثة.

لماذا مات المسيح؟

مات من أجل خطايانا يقول القانون. لذلك لا يكفي القول أنّه مات، وكأنّنا نتحقّق من حدث قد تمّ في الماضي. لا يصبح الاعتراف بُشرى سارة للإيمان، أي إنجيلاً، إلا عندما نعبّر عن الخلاص الذي تمّ من خلال موت المسيح. عبارة «من أجل خطايانا» تعني ذبيحة من أجل خطايانا»، تماماً مثل كلمة يسوع في عشائه الأخير عندما قال: «هذا هو جسدي، إنّه من أجلكم» (١ قورنتس ١١ : ٢٤). من أجلنا أعطى ذاته في الافخارستيا، من أجلنا مات على الصليب. هذه هي الذبيحة الوحيدة التي تمنح الغفران والسلام.

يعبّر الجزء الثاني من صيغة الإيمان عن قيامة المسيح في اليوم الثالث، وعلامة لذلك يخبر عن ترائي القائم من بين الأموات لبطرس وللاثني عشر، ويزيد القدّيس بولس على الصيغة الأساسية لائحة التلاميذ والرسل الذين أُنعم عليهم فتراءى لهم القائم من بين الأموات. آخر الأمر تراءى لبولس نفسه على طريق دمشق. قيامة المسيح هي أساس الإيمان المسيحي، لذلك يقول بولس الرسول: «وإن كان المسيح لم يَقُم، فتبشيرنا باطل وإيمانكم أيضاً باطل» (١ قورنتس ١٥ : ١٤).

مات وقام كما ورد في الكتب

هذا هو الحدث الأساسي في تاريخ الخلاص، الحدث الذي يلقي الضوء على كل الكتاب المقدّس، لا بل على حياة يسوع الأرضية. لا تذكر الصيغة نصوصاً معينة من الكتاب المقدّس، لأنّ الهدف هو التعبير على أنّ هذا الحدث العظيم يدخل في تاريخ الخلاص، لا بل هو مركز هذا

التاريخ. من الجدير بالذكر أنّ الكنيسة الأولى ما كانت تنطلق من الكتب لتفسّر الحدث، بل من الحدث إلى الاستشهاد بالكتب. خلاصة القول أنّ قيامة المسيح هي مركز كل تاريخ الخلاص، ومفتاح لتفسير كل الكتاب المقدّس.

هناك بالطبع إمكانية التأكيد على أنّ الكنيسة الأولى التي وضعت قانون الإيمان هذا قد فكّرت بنصوص معينة من الكتاب المقدّس. بالنسبة لموت يسوع من أجل خطايانا، لا بدّ من الرجوع الى الحمل الفصحي (خروج ١٢)، إلى يوم التكفير (أحبار ١٦)، وإلى «عبد الرب» (أشعيا ٥٣). أما القيامة في اليوم الثالث يمكن أن تكون استشهاداً ضمنياً بهوشع (٦ : ٢): «بعد يومين يحيينا وفي اليوم الثالث يقيمنا فنحيا أمامه»، بمعنى أنّ الله لا يترك مختاره في التجربة أكثر من ثلاثة أيام. استشهد بطرس الرسول بالمزمور ١٦ لإعلان قيامة المسيح (أعمال الرسل ٢ : ٢٥-٢٨). ويستعمل غالباً العهدُ الجديد المزمور ١١٠ للتعبير عن القيامة.

باختصار صار إيمان الكنيسة بقيامة المسيح نوراً للفهم والإيمان، بدونه لا يمكن أن نكشف معنى الكتب، أي الكتاب المقدّس، كما لا يمكن أن نعي ونقبل بالبعد الخلاصي لموت يسوع على الصليب. فصار الإنجيل الأول حسب بولس الرسول إعلاناً لموت يسوع الخلاصي وقيامته من بين الأموات. هذا هو أساس إيماننا المسيحي، كما كان الحال بالنسبة للكنيسة الأولى. كتب بولس رسائله قبل الأناجيل ويرجع قانون الإيمان الذي يورده في رسالته الأولى إلى أهل قورنتس إلى السنين الأولى بعد حدث القيامة. لذا نتساءل لماذا لا يتكلّم عن القبر الفارغ؟

القبر الفارغ والقيامة

لم يكن القبر الفارغ برهاناً على القيامة لدى الكنيسة الأولى، وهذا ما نتبيّنه في الأناجيل الإزائية، متى ومرقس ولوقا. ما صار علامة للقيامة إلا لاحقاً، كما نقرأ في إنجيل يوحنا الذي كُتب في أواخر القرن الأول الميلادي: «حينئذ دخل أيضاً التلميذ الآخر وقد وصل قبله إلى القبر، فرأى وآمن» (يوحنا ٢٠ :

٨). تراءى القائم فآمن الرسل والنسوة والترائي عمل إلهي لا يمتّ إلى إرداة الإنسان بصلة؛ إنّها مبادرة من عنده، نعمة أغدقها على الرسل المختارين ليحملوا البشارة إلى أقاصي الأرض. لأنّه ما من لقاء مع القائم من بين الأموات إلا ويليه رسالة. لا بل هم رسل لأنّهم اختيروا ليكونوا شهود القائم من بين الأموات. هناك علاقة ثابتة بين الدعوة الرسولية واللقاء مع القائم من بين الأموات.

نحن والقيامة

هم صاروا رسلاً لأنّ القائم من بين الأموات تراءى لهم. نرى أيقونات الرسل على مدخل القبر المقدّس في كنيسة القيامة، لأنّهم شهود القيامة. ما زالوا هنا، لا بل في كلّ العالم، يعلنون أنّ المسيح قام من بين الأموات. صوتهم يصدح بصوت الكنيسة!

ونحن متى صرنا رسلاً وشهوداً للإنجيل؟

«طوبى للذين يؤمنون ولم يرَوا»، قالها يسوع لتوما الرسول (يوحنا ٢٠ : ٢٩). وما لنا سوى قبول إيمان الرسل بالقيامة. نحن كنيسة رسولية، كما نقول في قانون الإيمان، أي إنّ إيماننا هو رسوليّ، قائم على شهادة الرسل بالقيامة، وما صيغة الإيمان التي اطّلعنا عليها في بداية المقال سوى جوهر الإنجيل الذي نؤمن به، أول الكرازة التي راح الرسل بكلّ قواهم يلقونها على مسامع كلّ الخلائق.

يبقى أنّ اللقاء مع المسيح الحيّ أساساً لأيّ إيمان ولأيّ رسالة. تقول: كيف ألتقي به؟

إنّه هنا بيننا كلّما قلنا مع الرسل إيماننا به. عندما يجتمع المؤمنون في الكنيسة، خاصة يوم الأحد، يوم الرب أي يوم القيامة، يبادر المحتفل قائلاً: «الرّبّ معكم»، فيأتي الرّبّ يسوع بيننا ويخدمنا بفرح على مائدة كلمته ومائدة جسده ودمه.

كيف لا ألتقي به، أنا وأخوتي في الكنيسة، عندما نعلن إيماننا المسيحي، إيمان الرسل، قائلين: «من أجلنا نحن البشر ومن أجل خلاصنا، نزل من السماء، وتجسّد بقوّة الروح القدس، من مريم العذراء، وتأنّس. وصُلب عنّا على عهد بيلاطس البنطيّ. تألّم ومات وقبر، وقام في اليوم الثالث، كما في الكتب»؟

كيف لا ألتقي به عندما أفتح كتاب الإنجيل لأصغي له وأتأمّل في كلامه فتصبح صلاتي لقاء معه؟

كيف لا ألتقي به عندما أرى محبّته لنا تتجلّى في المحبّة الأخوية وأعمال الرحمة؟

إنّه هنا ينتظرني وينتظرك ليملأ حياتنا من حياته. يكفي أن نرجع إلى البداية، إلى حجر الأساس، إلى الإيمان بقيامته من بين الأموات، لنصبح بدورنا شهود القيامة.